الانتفاضة الفلسطينية والمأزق الاسرائيلي

كشفت الثورة الشعبية في المناطق المحتلة عن جانبين هامّين في الصراع الدائر في المنطقة، هما: عناصر قوة الشعب الفلسطيني وثورته، من جهة، وأزمة الكيان الاسرائيلي، والقوى المساندة له، من الجهة الاخرى. وأي تحليل لهذين الجانبين يفسر التخبط الاسرائيلي للخروج من الأزمة، ويوضح طبيعة التحركات السياسية المحمومة للادارة الاميركية، ولحلفائها في المنطقة، والتي تهدف، في الأساس، الى تحقيق أهداف عدة، أهمها: الالتفاف عن م.ت.ف. وتجاهل دورها في الحلول المقترحة؛ واجهاض الانتفاضة الشعبية؛ وحماية الدول المجاورة لفلسطين من تأثيرات الانتفاضة على أوضاعها الداخلية؛ وانقاذ اسرائيل من أزمتها الراهنة.

سوف نحاول، هنا، التركيز، قدر الامكان، على أبرز ما تمخضت عنه الانتفاضة من نتائج ودلالات، فلسطينياً واسرائيلياً ودولياً؛ ثم التعرض الى بعض الاقتراحات السياسية التي ظهرت على خلفية الانتفاضة الشعبية، للوقوف على مخاطرها، وأبعادها.

عناصر قوة الثورة الفلسطينية

بداية، ان ما يجرى داخل الوطن المحتل ليس مقطوع الجذور؛ وانما هو استمرار لمجمل نضالات الشعب الفلسطيني، سواء أداخل الوطن المحتل أم خارجه. تلك النضالات التي أخذت تتراكم منذ اليوم الاول للاحتلال الاسرائيلي، واتخذت اشكالاً مختلفة، ومرّت بفترات ومراحل متعددة، وبوتيرة متفاوتة، صعوداً وهبوطاً؛ لكنها، ضمن السياق العام، كانت تخطو حثيثاً نحو مزيد من التنظيم، والاداء الفاعل، وتجلّت، بصورة واضحة، من خلال التشكيلات السياسية الميدانية، التي نشأت في داخل المناطق المحتلة، لادارة الصراع مع الاحتلال الاسرائيلي، ومن خلال بناء المؤسسات الوطنية الفلسطينية المتعددة (الثقافية، والتربوية، والنقابية، والاجتماعية، الخ). وقد برز دور هذه المقاومة مع تعزز مكانة م.ت.ف. العربية والدولية خلال العامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥، حيث انعكست انتصارات المنظمة ايجابياً على الحالة الجماهيرية في المناطق المحتلة. عندئذٍ، بدأت الاوساط الرسمية الاسرائيلية تشعر بالخطر الذي يتهددها جراء صعود م.ت.ف. وانجازاتها، السياسية والعسكرية والتنظيمية، فارتفعت أصوات اسرائيلية مطالبة بضرورة الاستعداد لمواجهة الظروف المستجدة، وآثارها، في المناطق المحتلة. وفي هذا الاطار، كتبت صحيفة «عل همشمار» الاسرائيلية: «بعد النجاحات السياسية الكبيرة لمنظمة التحرير الفلسطينية، يعترف الجميع بالتقصير الخطر في السياسة الاسرائيلية، الذي حال دون تبلور تمثيل سياسي معتدل للفلسطينيين في الضفة الغربية. ومن المؤكد انه لو قام مثل هذا التمثيل، لشكل عائقاً كبيراً أمام جهود م.ت.ف. للوصول الى مكانتها التمثيلية» (**عل همشمار**، ١٣/١١/١٩٨٦).

وهكذا، فقد اعتبر هدف فصل المنظمة عن الشعب الفلسطيني في أماكن تواجده المختلفة، عامة، وفي المناطق المحتلة، خاصة، حجر الزاوية بالنسبة الى السياسة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته. ولتنفيذ هذا الهدف، صاعدت اسرائيل من ضرباتها العسكرية ضد م.ت.ف. ومؤسساتها، وامتداداتها؛ كما وجّهت ضربات متعددة الى القوى الوطنية داخل الوطن المحتل، في محاولة منها لضرب النهوض الوطني الفلسطيني المتصاعد. الا ان هذه الاجراءات قد فشلت في القضاء على م.ت.ف. وبالتالي عجزت عن انهاء المقاومة داخل الوطن المحتل. وحتى لا نغرق في التفاصيل، في الامكان الاشارة الى أهم المحطات والاحداث، التي عبرت فيها جماهير الارض المحتلة عن ارتباطها بالقيادة الشرعية للشعب الفلسطيني، وعن رفضها للاحتلال الاسرائيلي منذ العام ١٩٦٧ حتى العام ١٩٨٦، الذي بدأت معه تباشير مقاومة ذات طبيعة نوعية جديدة، ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا.